

إرواء الظماً بتفنيد توهمات بن طما

سم الله الرحمن الرحيم

صدر قبل أشهر قليلة مضت كتاب (وقفات مع الهمداني وكتابه الإكليل) للدكتور عبدالمحسن بن طما الأسلمي الحربي تحدث فيه بوجه عام عن نسب قبيلة حرب وأنه عبارة عن تحالفات قبلية مكونة من:

1-قبائل وثيقة المدينة (الأوس و الخزرج).

2-قبيلة زبيد المذحجية.

3-قبائل حلف عبدالمطلب (أسلم وخزاعة).

4-قبيلة مزينة وبعض قبائل كنانة.

وقد استدل د.بن طما على هذا الرأي بنظرية جعلها أصلاً يشرح بها النصوص ويفسرها ، ويدفع أو يؤول ما يخالفها ، وهي التي قد ناقشناها في مقالنا : الرد على مقال نسب بني مسروح من خزاعة.

ونصها : بما أن القبائل الحجازية القديمة مازالت موجودة بديارها ومحتفظة بأسمائها كسليم وجهينة وأسلم ومزينة فإن القبائل التي كانت بجوارها ولكن اختفت مسمياتها وتلاشت كقبائل كنانة وبني عمرو من خزاعة ونهد من قضاة إنما نتج ذلك عن تغير مسمائها لا عن هجرات وتقلات كما يدعيه الآخرون.

ولأجل هذا كان كتاب الإكليل للهمداني عقبة كؤوداً أمام د.بن طما لا بد من تجاوزها حتى يسهل تقبل تلك النظرية ، فلم يجد طريقاً لصعود تلك العقبة إلا بإسقاط الهمداني نفسه حتى يسهل إسقاط مروياته وتطرح مؤلفاته ولا تقوم بها حجة في نسب قبيلة حرب.

فقام بما يلي:

1-الطعن في نسب الهمداني والتشكيك في أصله.

2-الطعن في أمانته العلمية وأهليته للكتابة النسبية والتاريخية.

3-الطعن في ديانته ومذهبه والخط من قدره.

4-تشويه الصورة التاريخية لليمن وأهله لتبدو أنها سبب لظهور أمثال الهمداني.

5-اجتزاء النصوص التاريخية والتلفيق بينها مما يوحي بتكاملها وهي لا تمت لبعضها بصلة.

6-التصرف في النقول والتدليس في الإحالات بطريقة منافية للأمانة العلمية.

7-تأويل النصوص التي تخالف استنتاجاته بدون دليل.

وهناك أمور أخرى قام بها د.بن طما مكملت لما سبق سنعرضها بالأدلة من خلال مناقشتنا للكتاب ونرجو منه أن يتسع صدره لذلك فنحن سنتعرض لطرحة لا لشخصه وسنبداً بالقدمة.

**يقول د.بن طما (ص7):**

الهمداني أحد مؤرخي اليمن وله اطلاع واسع على نتائج الحضارات الأخرى ونقل عنها وله مصنفات كثيرة في شتى العلوم وقد فقد الكثير من مؤلفاته ومن أشهر كتبه المفقودة هو كتاب الإكليل ، أما كتاب الإكليل (في جزأه الأول والثاني) الذي حققه الأكوع فليس من مؤلفات الهمداني بل من تأليف محمد بن نشوان الحميري الذي توفي في بدايات القرن السابع.

فمن خلال هذه المقدمة يتضح بجلاء مقصود د.بن طما من تأليف الكتاب وهو : إثبات نسبة كتاب الإكليل (ج2/1) لمحمد بن نشوان وليس للهمداني وأن تزوير تاريخ الحجاز وأنسابه وقع من ابن نشوان **لذلك يقول د.بن طما (ص7):**

وقد طاله التحريف والتصحيف وعبث النساخ والغراض والملاك وُدس فيه (كثيراً) من المعلومات المغلوطة التي تلامس تاريخ الحجاز وكياناته.

وقد اعتمد د.بن طما اعتماداً كلياً في إثبات تلك الدعوى على مقال للكاتب نايف الفقير نشر في جريدة الجزيرة (عدد 13429 بتاريخ 12/7/1430) تحت عنوان : الإكليل المطبوع هل تصح نسبته للهمداني؟! فقام د.بن طما بنقله كاملاً مع

بعض التصرف في الترتيب وشيء من التذليل وهو مما يعاب عليه حيث أنه لم يصف شيئا جديدا للموضوع وكذلك لم يطلع على أصل المخطوط ولم يستوف نصوص المؤرخين الذين صرحوا بالنقل عن الهمداني قبل وجود ابن نشوان ويقابل عليها ويقارن بينها.

والحق أن د. بن طما خرج عن المقصود وانحرف عن هدفه المنشود الذي نهض لأجله وهو : إبطال نسبة كتاب الإكليل للهمداني وتحول للنيل من الهمداني نفسه بالطعن في نسبه وديانته وأمانته بل وصل به الأمر للطعن في إقليم اليمن كله.

#### يقول د. بن طما (ص11):

وقد خضعت اليمن عبر عصورها لكثير من المتغيرات فقد سيطر عليها الفرس منذ وقت مبكر وبقي تأثير الأبناء الفرس زمتا طويلا كما أن الغزو الحبشي لمكة لمحاولة هدم الكعبة كان منطلقا منها وبعد الإسلام ظهرت فيها مذاهب وفتن وإثنيات مختلفة ثم تحقيق كتاب الإكليل الذي أدى للعبث بأنساب الحجاز وآخرها مانعاني منه في هذه الأيام من فتنة الحوثة.

وكما سبق بيانه : ففي هذه الأسطر يحاول د. بن طما أن يعرض الصورة التاريخية لليمن بشكل قبيح ومشوه ليظهر كأنه مفرزة للشرور ومصدرا لزعة الاستقرار الإسلامي ضاربا بعرض الحائط النصوص النبوية في فضل اليمن وأهله والتي تخالف قوله الشاذ الذي لم يسبقه إليه أحد بل إن شئت فقل المنكر!

فالغزو الحبشي لمكة لم يكن لليمنيين فيه يد ولا ذنب ! وكذلك سيطرة الفرس عليه وخضوعه لهم كان لأجل طرد الحبشة وهو داخل في صراع القوى الكبرى في ذلك الوقت لا قدرة لهم عليه ، ولو سلطنا مسلكت د. بن طما فلن يسلم له أحد.

ففي الحجاز ظهر عمرو بن لحي جد خزاعة الذي جاء بالأصنام وعبادة الأوثان بعد أن كانوا على الحنيفية ودين الإسلام ، وكذبت قريش النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجته ، وطرده أهل الطائف ورموه بالحجارة ، وفي نجد خرج مسيلمة الكذاب لعنه الله والقرامطة الذين سيطروا على كثير من أقاليم الجزيرة العربية وسرقوا الحجر الأسود ، وفي مصر ظهرت الدولة العبيدية الباطنية ثم كانت محطاً للحملة الفرنسية والتي مهدت الطريق للاستعمار البريطاني!!

فما رأي د. بن طما في هذه الأقاليم ؟! وهل تأثيرها على التاريخ مشابه لتأثير اليمن ؟!

إن اليمن وأهله لو لم يكن لهم من الفضل إلا انتساب الأوس والخزرج لهم لكفاهم شرفا ولذا بت في بحار فضلهم كل مثلبة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث ، فكيف وقد جاءت النصوص الصحيحة الصريحة بفضل اليمن وأهله.

فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم قوله : أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الإيمان يمان والحكمة يمانية.

وقوله : اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا.

وغيرها من الأحاديث والآثار ، ولم يزل اليمن دار خير وفضل ومحط رحل العلماء والمحدثين والفقهاء على مر العصور .

#### يقول بن سمره (ت586):

الطبقة الثانية من تابعي التابعين وفقهاء اليمن رحمهم الله تعالى : منهم معمر بن راشد البصري سكن صنعاء تفقه وسمع من همام بن منبه اليمني والزهري وهشام بن عروة وارتحل إليه الثوري وابن عيينه وابن المبارك وغندر وهشام بن عروة بن يوسف قاضي صنعاء ..... إلى أن قال : مات معمر بصنعاء من شهر رمضان سنة 153.

وقال : ومنهم الإمام المرحول إليه من الأفاق عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري فقيه صنعاء المرحول إليها من أجل علمه وأخذ عن معمر والثوري وابن جريج وغيرهم من الحفاظ وارتحل إليه إسحاق بن راهويه وعلي بن المديني ومحمود بن غيلان وروى عنه أحمد بن حنبل تاريخه... إلى أن قال : مات عبدالرزاق بن همام سنة 212 . (طبقات فقهاء اليمن ص84/86)

وكل هؤلاء العلماء في زمن مقارب للهمداني كما رجح د. بن طما (ص100)

وأما قول د. بن طما : وآخرها ما نعاني في هذه الأيام من فتنة الحوثة فقد ذكرني بتعليق عاتق البلادي رحمه الله على إهداء ناشر كتاب شفاء الغرام حيث قال : جاء في آخر كلمة الإهداء على لسان المكتبة الناشرة ( وأن نهديه إلى عاهل الجزيرة العربية السعودية ) وهذا تملق من الناشر لنفع دنيوي كان ينبغي لأهل العلم أن يترفعوا عن مثله . (المصحح ص66)

ثم انتقل د.بن طما بعد هذه المقدمة التي تعرض فيها لليمن وأهله للحديث عن نسب قبيلة حرب من وجهة نظره ، وأنها عبارة عن تحالفات قبلية نشأت في فترات زمنية متفاوتة وليس كما ذكر كتاب الإكليل الذي ألفه ابن نشوان على حد زعمه ، وقد قسم الكلام إلى عدة مباحث بدأها بحلف عبدالمطلب.

#### يقول د.بن طما (ص12):

تحالف عبدالمطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم مع بني عمرو بن ربيعة وأسلم ومالك وملكان قال محمد بن عبدة بن سليمان النسابة : نزلت قرب مكة أربعة شعوب من الأزرد هم.

ثم أحال في الهامش على كتاب الإنباه لابن عبدالبير.

ويستدرك على د.بن طما في هذا النص أمور:

1-التصرف في نص ابن عبدالبير بما يخالف الأمانة العلمية في النقل مما أخل بالمعنى.

قال ابن عبدالبير (ص84) : وقال محمد بن عبدة بن سليمان النسابة : افترقت خزاعة على أربعة شعوب.

2-التدليس في الإحالة حيث وضع رقم الإحالة بعد لفظ النسابة وهو القدر المشترك بين نقله ونقل ابن عبدالبير أما بقية النص الذي تصرف فيه فقد أهمل الإشارة إليه ، والسؤال المطروح : مالفايدة من نقل كلام ابن عبدالبير إذا توقف اقتباس النص عند (قال محمد بن عبدة النسابة) ؟!!!

ولكن قد يقول قائل : د.بن طما نقل كلام ابن عبدالبير بالمعنى!

والجواب : إن نقل النصوص بالمعنى لا يمنعه أحد ولكن إذا أخل الناقل بروح النص ، والمعنى الذي أراده واضعه فهنا يأتي الاشكال ونحن لا نريد أن ندخل في النوايا ولكن نعيب عليه هذا الصنيع خاصة وهو متأهل للبحث ويحمل شهادة دكتوراة تمكنه من معرفة مغبة ما يصنع.

#### ويقول د.بن طما (ص12):

نزلت قرب مكة أربعة شعوب من الأزرد هم : الشعب الأول ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وأشهر فروعهم بنو عمرو بن ربيعة ومن عمرو بن ربيعة بنو عاصم وبشر.

ثم أحال في الهامش على كتاب المنمق لابن حبيب.

والرسالة التي يحاول د.بن طما إيصالها في هذا النص هي : أن قبيلة بني عمرو من حرب قسمان:

1-قسم خزاعي يضم قبيلتي بشر ومعبد (فرع بني عاصم).

2-قسم أنصاري سيأتي الكلام عنه إن شاء الله وهم أهل وادي الفرع.

ولكن فات د.بن طما بسبب استعجاله في قراءة نص ابن حبيب أمور كثيرة أدت إلى ضعف استنتاجاته بل إن شئت فقل إلى بطلانها ، فمن خلال الجمع بين نص ابن حبيب الذي نقله د.بن طما ونص آخر في نفس الكتاب لم ينفطن له د.بن طما وكذلك ترجمة خباب بن الأرت عند ابن سعد وغيره تتضح الصورة الكاملة ويذول الوهم الذي وقع فيه د.بن طما حينما ظن عاصما وبشرا بطنيين من خزاعة وهما رجلان حالفا والد الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه.

#### يقول ابن حبيب : حلف آل عاصم وآل سباع

قال : كان حلف آل عاصم وهم من بني سعد بن بياضة بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة أيضا أنهم كانوا جميعا حلفا لعوف بن عبدعوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب واخوهم لأهمهم خباب بن الأرت مولى عوف ... إلى أن قال : وكان الذي دعاهم إلى حلف عوف أخوهم لأهمهم خباب بن الأرت وهي أمة كانت ختانة وهي التي أراد حمزة بن عبدالمطلب بقوله يوم أحد لسباع بن عبدالعزيز هلم إلى يابن مقطعة البظور . (المنمق ص244)

فيستفاد من هذا النص أمور:

1-آل سباع : المقصود به سباع بن عبدالعزيز الغبشاني الذي قتله حمزة يوم أحد.

2-آل عاصم : المقصود به قريب سباع و أخوه لأمه عاصم

3- أن سباعا وعاصما رجلا من بني سعد بن بياضة من خزاعة وقد نص ابن حبيب على بطنيهما وقبيلتيهما.

4- أن الذي دعاهم للحلف أخوهم لأمهم خباب بن الأرت رضي الله عنه

5- أن حلفهم كان مع عوف والد عبدالرحمن رضي الله.

فالنص لا يفهم منه أن آل عاصم وآل سباع فرعان من خزاعة وإنما أفراد حالفوا عوف والد عبدالرحمن ومثله قول ابن حبيب في نفس الصفحة : حلف آل عبدالله بن مسعود الهذلي.

**ثم قال ابن حبيب في نفس الصفحة:**

ودخل حلف هؤلاء الخزاعيين (المقصود بهم آل سباع وآل عاصم) في زهرة أبو بشر فكان منهم كرامة البشري الشاعر من خزاعة وليسوا بحلفاء ولكنهم انضموا إليهم بسبب إختوتهم.

**وقال في موضع آخر (ص249):**

من دخل قريش في الإسلام بغير حلف إلا بصهر أو بصدقة أو برحم أو بجوار أو ولاء ... إلى أن قال (ص254):

ومن أولئك في بني زهرة بن كلاب آل يزيد بن الجدر من الأزد دخلوا في زهرة بنكاح عبدالله بن يزيد ابنة الأسود بن عوف بن عبدعوف بن عبد بن الحارث بن زهرة وليس لهم حلف ومنهم آل بشر من خزاعة منهم كرامة البشري الشاعر دخلوا بسبب إختوتهم إلى سباع بن عبدالعزيز من خزاعة.

فمن خلال هذين النصين لابن حبيب يتبين الآتي:

1- أن أبا بشر ليس حليفا لعوف والد عبدالرحمن وإنما انضم إليه بسبب حلف أخوته سباع وعاصم.

2- أن الحلف عقد بعد ظهور الإسلام أي زمن البعثة

3- أن نسبة الشاعر كرامة إلى بشر هي من نسبة الولد لأبيه أو جده لأن ابن حبيب صرح بنسبه أنه من خزاعة.

وأما قبيلة بشر من حرب فليست لها علاقة بهذا الخزاعي وليست هذه ديارها زمن البعثة إلا إذا طرحنا النصوص التاريخية المعاصرة لتلك الحقبة ثم أخذنا نعسف بالأخرى!

**يقول المقرئ (ت845):**

وفي ليلة الأربعاء ثالث عشرة (أي من رجب سنة 839) بعث الشريف زين الدين أبو زهير بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة بعثا لمحاربة بشر من بطون حرب إحدى قبائل منحدج ومنازلهم حول عسفان نزلوها من نحو 816 هجرية .... إلخ (السلوك 307/7).

فكيف سيصنع د. بن طما مع هذا النص الصريح في نسب قبيلة بشر وتاريخ نزولهم وسببه ؟!

إن هذا المسلك الذي يتبعه د. بن طما من نسبة القبائل لأشخاص بدون نص تاريخي صريح لو فُتح باب له لقال من شاء ما شاء ولأصبحت الأنساب أشبه بالفوضى حيث سيأتي بعد مدة من الزمن من ينسب بني عاصم من معبد لعاصم بن عمر بن الخطاب أو ينسب قبيلة بشر إلى بشر بن سحيم الغفاري الذي كان ينزل ضجنان وكراع الغميم.

أختم القول : بأن ما أراد إثباته د. بن طما في مبحث حلف عبدالمطلب من نسبة قبيلتي بشر ومعبد (فرع بني عاصم) لخزاعة باطل عقلا ونقلا وقد نقضناه بالنصوص التي ساقها واستشهد بها واستعجل في فهمها هادانا الله وإياه للصواب.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه // فهد بن محمد بن معيوف الصحفي

المشرف على مدونة غران للدراسات والنشر